مجلاتنا الممتازة

ونصيب المسرح والسينما والغناء منها

للأستاذ دريني خشبة

هل تكتب « الرسالة » أو « الثقافة » أو « المقتطف » أو « الهلال » شيئاً في المسرح المصري الحاضر أو السينما المصرية الحاضرة أو الغناء المصري الحاضر أو الموسيقا المصرية الحاضرة؟[1]

وإن لم تكن هذه المجلات تكتب شيئاً من ذلك، فهل هي على حق في خطتها تلك! وهل هي بتلك الخطة التي تلتزمها حيال أرقى فنوننا الجميلة تمثل النهضة المصرية أو تنطق بلسان مصر الحديثة؟ وهل هناك فرق أن تصدر الرسالة — وتلك خطتها — في القاهرة أو في بغداد؟ وهل يتغير المقتطف إن كان يطبع في دمشق، لا في القاهرة؟ وإن صدرت الثقافة في مكة، ولم تصدر في مصر، فماذا كان يتغير فيها بحكم تلك البيئة الجديدة؟

وإذا كان الهلال يأتي إلينا من صنعاء اليمن فهل كنا نرى فيه هلالاً غير هذا الهلال الذي يصدر عن القاهرة؟

وما السبب يا ترى في امتناع مجلاتنا الممتازة هذه عن الكتابة في المسرح المصري الحديث والسينما المصرية الحديثة، والغناء المصري الحديث، والموسيقا المصرية الحديثة؟ وفي سائر الفنون المصرية الحديثة!

هل يستطيع أحد أن يتهم الأستاذ الزيات أو الأستاذين أحمد أمين وعبد الواحد خلاف، أو الأستاذ يعقوب صروف أو الأستاذين أميل وشكري زيدان بأنهم رجال لا يستطيعون أن يزنوا هذه الفنون من حيث تمثيلها للنهضة المصرية الحديثة والذوق المصري الحديث؟

وإن قلنا إن هذه المجلات قد خصصت نفسها للأدب الجد والعلم الجد، فهل نفهم من ذلك أن أصحابها لا يقولون بأن المسرح المصري الحديث ليس من الأدب الجد في شيء، ومثله السينما والغناء والموسيقا؟!

وهل العلاقة بين هذه الفنون وبين الأدب الجد لا تصل في أهميتها إلى خطورة العلاقة بين الأدب الجد وبين اشتقاق كلمة « اجلوّز » وما إليها من تلك الببغائيات التي تحفل بها مجلاتنا الممتازة وتفسح لها صفحاتها؟

ولكن ... ما علة امتناع مجلاتنا الممتازة، هذا الامتناع

(١) لقد كان في (الرسالة) قبل أن تنقص أزمة الورق حجمها باب ثابت لهذه الفنون نصرنا فيه لأساطينها بحوثاً قيمة لا يزال قراؤنا يذكرونها. وإنا لنرجو أن تنفرج حلقات هذه الأزمة فيعود إلى الرسالة أبوابها وكتابها على خير حال وأكمل وجه « الرسالة »

كان الشريف يتحدى خلفاء بغداد بأن له في مصر أنصاراً يستنصر بهم حين يشاء، وقد وفت مصر للشريف بعد عشرة قرون، فسمّت باسمه شارعاً في المنصورة وغيطاً في سنتريس، ولن يموت رجلٌ يُحفظ اسمه في المنصورة وسنتريس

الشريف هو الذي يعبّر عن أشواقه إلى أحبابه في العراق حين يقول:

ومن عجبٍ لا أسأل الركب عنكم ... وأعلاق وجدي باقيات كما هيا
ومن يسأل الركبان عن كل غائب ... فلا بدّ أن يأتي بشيراً وناعيا

وقد لجمتني الأقدار بموت الصديقين الكريمين: إبراهيم العمر وصادق الوكيل، وكانا عدوّين لا يقرب بينهما غير الاتفاق على ودادي، وما أكثر ما صنعتُ في تبديد الخلاف بين المتخاصمين من أدباء العراق!

كنت أقول إني أحب العراق لأخلق فيه صداقات لوطني؛

واليوم أقول إني أحب العراق، لأنه العراق

ومن الذي يكره بلداً لا يفارقه بغير الدمع؟

من الذي يكره بلداً من رجاله طه الراوي ورضا الشبيبي؟

العراق وطني، لأنه أصدق الأصدقاء لوطني، ولأنه العراق، ولأنه دار الذين يئسوا من وفائي، مع أنني أوفى الأوفياء

أنا الجاني على نفسي، فقد تهاونت في نقل تلك البُنَيّة إلى وطني، ومعها تلك الأم السمراء، ويا لها من سمراء!

جنى الهوى ما جنى، وجليت ما جنيت، فعلى أيام الهوى وعلى أيامي ألف تحية وألف سلام، إلى أن نلتقي في ظل الموصلية التي تسكن بغداد، وهي ملثوغة الراء، لأنها حواء، وأنا أول الحافظين لعهد الوفاء.

زكي مبارك

الإجماعى ، عن الكتابة فى هذه النواحي من مقومات نهضتنا الفكرية الأدبية الحديثة ؟ !

هل هو الاستعلاء كما زعم لى أحد الزاعمين وأنا أحاوره فى هذا الموضوع ؟

وفيم يا ترى استعلاء مجلاتنا المصرية الممتازة عن الكتابة فى المسرح المصرى الحديث والسينما المصرية الحديثة ؟ هل هى فى حاجة إلى من ينبهها إلى خطر المسرح والسينما ومكانهما من الأدب الذى تضطلع بنشره فى مصر قاطبة ؟ !

وهل ترفض هذه المجلات الممتازة نشر بحث يقدم لها عن المسرح اليونانى ، أو المسرح الإنجليزى ، أو المسرح الفرنسى ؟ كلا ... إنها ترحب دائماً بهذا البحث وتعده من واجبها الأول !

وهل ترفض ترجمة لأحد رجال المسرح اليونانى أو المسرح الإنجليزى أو المسرح الفرنسى ؟ ... وهل ترفض ترجمة لأحد الموسيقيين من أمثال موزارت وباخ وهاندل وبيتهوفن وهايدن وشوبين وليزت ولتنتا يكوفسكى ؟ أم ترفض ترجمة لأحد المغنين الغنائى من أمثال إسحاق وإبراهيم الموصلى وزرياب وعنان ؟

هذه طائفة من الأسئلة كانت وما تزال تملأ التفكير ، وتجعل الرأس أشبه شىء بخلية النحل من كثرة ما كانت تتوارد فيه ، فى شدة وفى عنف ... بل فى شبه ثورة جارفة ، مُغشّاة بكثير من الهم والاكتئاب ! ... لماذا تستعلى مجلاتنا عن تناول المسرح المصرى ، والسينما المصرية ، والغناء المصرى والموسيقا المصرية ؟ ... إن أحداً لا ينقم على مجلاتنا الممتازة مظهرها العربى الصميم الذى هو مفخرة الصحافة المصرية ، ونحن حين نرى العالم العربى كله يقرأ مجلاتنا ويقبل عليها هذا الإقبال لنحمد الله على أن جعل لنا الصدارة فى هذا الباب ، وأن هيأ لنا من الزعامة الفكرية ما يجعل مصر نبراساً للأمم العربية جمعاء ... هذا حسن جداً ... وهو خير كل الخير ، لكن ما ذا يضرنا لو أظهرنا شقيقاتنا من الأمم العربية على هذا الجانب الهام من مصريتنا الصميمة ؟ لماذا لا نكتب لهم عن مسرحنا وعن هذه النخبة الفاضلة العامة الجدة من رجاله ؟ لماذا لا نقد لهم الروايات المصرية التى يؤديها هذا المسرح ويعالج فيها علتنا الاجتماعية ؟ ألم تكن فرقنا تذهب إلى فلسطين وسوريا ولبنان والعراق وتونس والجزائر وأمريكا الجنوبية لتمثل هنالك تلك الروايات المصرية ؟ أليست هذه هى الأفلام المصرية تصدر من مصر إلى تلك الأقطار الشقيقة فيقبل عليها الأهلون إقبالاً منقطع النظير ليشهدوا مصر الحديثة ، وليطالعوا الأدب المصرى الحديث ، والتمثيل المصرى الحديث . وليمتعوا أنفسهم بالغناء المصرى الحديث ويشنفوا آذانهم بالموسيقا المصرية الحديثة ؟ الحقيقة أن شطراً كبيراً من مسئولية ذلك تقع على عواتق رجال تلك الفنون من المسرحيين ومخرجى السينما وممثليها والمغنين والموسيقيين المصريين ... وسنكون صرحاء فى تحديد هذا الشطر من المسئولية فنقولها كلمة حق إن كثيرين منهم يكادون يكونون أميين ... أميين فى فهم نفسه ، وأميين فى طريقة أدائه ، وأميين فى منوال حياتهم بوصف كونهم رجال الفنون الرفيعة فى مصر . أما أن منهم الأميين فى فنهم فهذا هو المشاهد الملحوظ فى كثير من الروايات المصرية المسرحية ، وأشرطة الصور المصرية تأليفاً وإخراجاً وتصويراً وتمثيلاً — وأنا أكتفى هنا بالإشارة العابرة دون التصريح والتجريح ، فما لهذا كُتب المقال — ولست تعرف من أين يأتى أكثر العيب ؟ أيأتى من المؤلف الذى يتناول الموضوع المصرى أو إحدى البيئات المصرية فيشيع فيهما مرض خياله ويمسخها بسقم تصويره ويجعل منها أضحوكة لا تخطر فى بال مصرى ؟ أم يأتى من المخرج الذى يضرب أخماس المشاهد فى أسداسها حتى تبرز عرجاء شوهاء مقعدة فى كثير من الأحيان ؟ أم يأتى العيب من المصور الذى لم يدرس قط ، أو درس دراسة ارتجالية — فن الضوء المسرحى أو السينمائى وزوايا المناظر ؟ أم يأتى أكثر العيب من الممثلين وفيهم مهرجون كثيرون فرضوا بطولتهم على الشركات التى ألفوها ، وعلى النظارة الذين أفسدوا أذواقهم بالإلحاح عليها بشعبذاتهم ومساخرهم

أما أميتهم فى أسلوب حياتهم فذاك أن أكثرهم لا يحاول قط أن يتعلم أو أن يثقف نفسه بمطالعة ما تصل إليه يده عن تاريخ فنه وتراجم أبطال هذا الفن وما يجد كل يوم فيه وما يضاف إليه من جهود المتخصصين فيه ، ثم هم غير هذا يحيون حياة

سائبة ليس فيها أى شعور بالكرامة الفنية التى كان يخلق بها التسامى عن التبذل والانغماس فيما يشين الأقدار . وليس يضير هذه الفنون قط أن كثيرين من أبطالها فى مصر قد نشأوا من صميم الشعب ، فهنا مفخرة هذه الفنون ، بل هنا حياتها ، لأنه لا يعرف هوى الشعب ولا يدرك علله إلا أفراد منه أوتوا تلك الملكات الشعبية التى يجهلها السراة جهلاً تاماً

وبمناسبة فقر أبطال المسرح والسينما والغناء والموسيقا فى ثقافتهم ، ذلك الفقر المضحك المخزى ، يذكر الإنسان ما كان يشترط فى المغنى العربى والمغنية العربية فى العصر العباسى من إلمام واسع بنحو العربية وصرفها وعروض الشعر وقوافيه ، وما كان ينبغى أن يتوفر له من محفوظ الشعر والبصر بعلله ودقة الذوق فى نقده وطول الباع فى الوقوف على أخبار الأدباء والكتاب والشعراء والمحبين . ولسنا هنا بمعرض ضرب الأمثال لذلك ، فكتب الأدب العباسى والأندلسى تفيض بذلك وتزخر به . ونحن والحمد لله نعيش فى مصر فى عصر شباب اللغة العربية ورونق مجدها المبين ، مما لم تبلغه فى أى عصر من عصورها الذهبية الخوالى ؛ والمستمع الذى له دراية بنحو هذه الأغنية لا يتلف الغناء أو الإلقاء فى نفسه ما يتلفه اللحن فى القطعة المغناة أو الملقاة ... إنه يضيق عند ذاك بالغناء وبالمغنى ... بل إنه ليضيق بالدنيا جميعاً ولا يعود يعنيه من أمر الغناء ما يعنيه من جهل المغنى بنحو اللغة ، ذلك الجهل الذى لا عذر له فيه إلا الكسل عن الإلمام بهذا النحو . لقد كان المغنون فى العصر العباسى وفى بلاد الأندلس أدباء من الطراز الأول ، وكانوا يحتلون من رواية الرواة ومؤلفى كتب الأدب ما كانوا خليقين به . وحسبهم فخراً وشرفاً أن يسمى أبو الفرج كتابه « الأغانى » ، ولم يسمه اسماً آخر بالرغم مما حشد فيه من تراجم الشعراء وقصائدهم

وبعد ... فمتى يعنى مديرو مجلاتنا الممتازة ورؤساء تحريرها بالمسرح المصرى الحديث وما إليه من سائر الفنون الرفيعة التى ذكرنا ؟ إننا حينما ندرس الأدب اليونانى القديم نجد ثلاثة أرباع هذه الدراسة تدور حول المسرح اليونانى وحول شعراء مآسيه وملاهيه ؛ ودراسة الآداب الأوربية تكاد تكون قسمة عادلة بين القصص فى الشعر فى ناحية ، والدرامة فى ناحية أخرى ، بل يكاد بعض هذه الآداب يكون مسرحياً صرفاً . وقد عنى أرسطو بدراسة المأساة المسرحية وكرس لها كتابه الخالد « بويتيكا » (الشعر) وعدها مصدر الفضائل ولباب الأدب . فهل أصحاب مجلاتنا الممتازة ورؤساء تحريرها فى حاجة إلى أن يذكرهم أحد بكل ذلك ؟ ...

قد يجادل رؤساء التحرير المحترمون هؤلاء فى حقيقة المسرح المصرى الحديث : أموجود هو ؟ وهل لدينا الممثلون الذين يستحقون أن يكتب عنهم ؟ وهل لدينا مذاهب مسرحية تستأهل أن يعنى بها ؟ ثم ما هى عيون الأدب المسرحى أو السينمائى التى تستحق أن تفسح لها مجلاتهم سيداناً للنقد أو العرض أو التحليل . وقد آن أن نكون صرحاء ... فالمسرح المصرى أصبح حقيقة لا مرية فيها ، وأشرطة الصور المصرية تغزو دور الصور فى مصر خاصة وفى الشرق العربى عامة . وقد أصبح للمسرح المصرى والسينما المصرية والغناء المصرى أكبر الأثر فى التوجيه الأخلاقى والتوجيه الثقافى الحديث . ورب درامة أو شريط سينمائى للأستاذ يوسف وهبى — كائناً ما كان هذا الشريط — له من الأثر فى أخلاق هذه الأمة وفى مزاجها وفى تكييف ذوقها مالا تستطيع أن تصنعه خمس مدارس أو عشرة أو عشرون ... ورب أغنية للأستاذ محمد عبد الوهاب أو للآنسة أم كلثوم يكون لها من الأثر فى عامة الشعب وخاصته مالا يكون لألف مقالة من مقالات الرسالة والثقافة والمقتطف والهلال مجتمعة ... هذه حقيقة لا يمارى فيها إلا مكابر ... فإذا كان الأمر كذلك ، فكيف تجمع هذه المجلات المحترمة الممتازة على الانصراف عن المسرح المصرى والسينما المصرية والغناء المصرى والموسيقا المصرية لا تتعرض لها بخير أو شر ؟ هل يظن رؤساء تحرير هذه المجلات — وهم قادة الفكر فى مصر وفى الشرق العربى — أنهم يؤدون وظيفتهم كاملة على هذا النحو المبتور ؟ هل صحيح أن انصرافهم عن هذه النواحى الثقافية التى لها أكبر الخطر فى تكييف نهضتنا الفكرية وذوقنا الفنى هو صدى هذا

الاستعلاء الذى أشار إليه أحد رجال الفكر الذى حاورته فى هذا الموضوع ... على أننى لست أدرى سبباً لهذا الاستعلاء ؟ أليس هو من باب وضع النعامة رأسها فى الرمال إذا حاق بها الخطر ؟ هل يمارى روساء التحرير المحترمون هؤلاء فى خطر المسرح والسينما والغناء والموسيقا على الأخلاق والأذواق ؟ ألا تستحق الأربعون أو الخمسون رواية التى ألفها الأستاذ يوسف وهبى ومثلها أو أخرجها للسينما وشهدها خمسون أو ستون مليوناً من النظارة فى مصر وفى العالم العربى ... كلمة نقد أو كلمة تقدير أو كلمة تحليل ... أو حتى كلمة تحذير من إحدى مجلاتنا الممتازة أو الملتزمة ... لا أدرى ...

ألا يستحق هؤلاء الأبطال : يوسف وهبى وحسين رياض وأحمد علام وزكى طليمات وسليمان نجيب وعباس فارس وعمر وصفى وحسين صدقى وأنور وجدى ومحمود ذو الفقار ومنسى فهمى ومحمود المليجى وأحمد جلال ومختار عثمان ونجيب الريحانى وفوزى الجزايرلى وعلى الكسار ... ألا يستحق هؤلاء أن تقدمهم مجلاتنا الممتازة إلى قرائها فتحلل لهم شخصياتهم أو تقفهم على مزاياهم أو تنقد لهم مذاهبهم فى التمثيل أو طرائقهم فى الأداء ؟

ألا تستحق أمينة رزق وزينب صدقى وفاطمة رشدى وعزيزة أمير وآسيا ودولت أبيض ومن إليهن أن تترجم لهن مجلاتنا الممتازة ، أو أن تقدمهن لجمهور قرائها بما ينبغى لنساء المسرح من عرض ونقد وتحليل ؟

ما هذا ؟ ألا يستحق محمد عبد الوهاب وأم كلثوم ورياض السنباطى والقصبجى وزكريا أحمد وعبد الغنى السيد وصفر على والقلعاوى والرشيدى وساميشوا وفاضل شوا وعبد المطلب والسروجى وأحمد عبد القادر ونور الهدى ورجاء وفتحية وأسمهان ونجاة ... ألا يستحق هؤلاء أن يترجم لهم والعالم كله ينتفع بهم ويلتذ غناءهم وموسيقاهم وألحانهم ؟

إنى وأنا أكتب هذه الأسماء ألمح الابتسامات العريضة ترقص على شفاه رؤساء التحرير وعلى قسمات الكثيرين من القراء . وليست هذه الابتسامات من الغموض بحيث يخفى معناها على أحد ... إنها ابتسامات الاستعلاء . أو الاستهزاء . ما فى ذلك شك ... وهو استعلاء ظالم ... بل هو استعلاء أنانى أثر ، وأمسك عن وصفه بشىء آخر .

لقد آن أن تكون مجلاتنا الممتازة صادقة فى التعبير عن مصر الحديثة . ولقد آن أن تعرف مجلاتنا الممتازة حق المسرح المصرى الحديث ، والسينما المصرية الحديثة ، والغناء المصرى والموسيقا المصرية ... هذه المظاهر الأربعة الهامة التى تصور للعالم العربى مصر الناهضة التى تتزعم ممالكه ودويلاته ، وتصدر إليها الفكر الجديد والثقافة الجديدة . ليكن بعض رجال هذه الفنون كما وصفتا فى هذا المقال ؛ ولكن لتكتب مجلاتنا عنهم لتقوم اعوجاجهم ، ولترد إليهم كرامتهم ، ولتصل أسبابها بأسبابهم ، فإنه إذا استمرت تلك القطيعة بينها وبينهم وبين رجال الفنون على هذا النحو صار سواء أصدرت مجلاتنا تلك عن القاهرة أو عن مكة أو عن دمشق أو عن بغداد أو عن صنعاء . وربما جاء يوم تصبح فيه مجلاتنا صحائف أرثوذكسية لا تعبر عن شخصيات العصر الحديث ... ولست أدرى لماذا ألغت الرسالة باب الفنون وباب الموسيقا والموسيقيين وقد كانا من أجل أبوابها ؟

هذه كلمة سريعة وربما كان لنا عود إلى الموضوع .

دريني خشبة

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات (الرسالة) مجلدة بالأثمان الآتية : السنة الأولى في مجلد واحد ١٠٠ قرش ، و ١٠٠ قرش عن كل سنة من السنوات : الثانية والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة فى مجلدين . وذلك عدا أجرة البريد وقدره خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشاً فى الخارج عن كل مجلد .